



بقلم: فلاس دوروتشيفتش

ترجمها من الفرنسية: أ. د. حامد طاهر

نعم . . هذا هو عنوان القصة .

وفيما يلي ما حدث:

في بغداد , تلك المدينة الكبيرة و الجميلة , كان يعيش تاجرً غني ومحترم.

ماذا كان اسمه ؟

كتبها Administrator المثلاثاء, 25 ذو فمبر 2014 16:37 -

عندما كان يلهو تحت قدمي أمه (أليست الجنة تحت أقدام الأمهات) ذادته: " حسان السعيد " . . وكان شابًا جميلًا , وذكيًا , وغنيًا . . غنيًا جدًا . ولم يكن شيء ينقصه . ومع ذلك فقد قرر ذات يوم أن يتزوج .

وما أن قال حتى فعل. خطب أجمل فتاة في المدينة.

كانت.. كانت.. كلًا. إن الكلام يعجز عن وصفها.

الموسيقي وحدها هي التي يمكن أن تعبر عن جمالها.

وباختصار ,كانت جميلة مثل حبيبتك يا سيدي . ومثل حبيبتك أيضاً , ومثل حبيبتك يا سيدي العزيز (وبهذه الطريقة , أتمنى أن أرضى كل الأذواق) ودعا حسان بغداد كلها إلى وليمة . وكانت فرصة برهن فيها طباخو المدينة الأسطورية على أنهم يعتبرون بحق في طليعة طبّاخي المعالم

وبين قطعان الأغنام , انتشرت شائعة نحس تقول:

"لقد حانت نهاية العالم, فقد عقد حسان العزم على القضاء على كل الخراف, وأن يحشوها بالفستق, ويقطعها شرائح لضيوفه"..

وفي ذلك المزفاف البهيج, الغني, الفخم, ذرفت النساء دموعًا رقيقة من الغيرة, في الموقت الذي اتخمن بالشراب, والفطائر, والمربى , والجوز, والمشمش..

أما المصبايا, فلم يأكلن إلما مربّى الليلك, والياسمين المعقودة بالسكر, وقد أقسمن ألما يذقن شيئًا آخر غيرها, حتى يوم زغافهن.

دارت الرأس بالكثير من ألوان الموسيقى.. أما الشبان, فقد كانوا يقفون على أرجلهم بصعوبة من كثرة ما رقصوا. والخمر, التي يحرمها القرآن الكريم, صرعت الشيوخ وكبار السن, مثل عبد رقيق ارتمى على أقدامك ليقبلك..

وأخيرًا جاء منتصف الليل. الساهة المنتظرة. النساء اصطحبن العروس إلى غرفة نومها البديعة. وبين التضاحك والهزر, خفّفنها

كتبها Administrator المثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:37 -

من ملابسها, ووضعنها فوق سرير العروس, المزين بستائر الدنتيللا..

و ذهبت المواشط يبحثن عن العريس. وفي صحبة أصدقائه, جاء حسان, وجلس كرجل شاب, حكيم.. جاء بخطى فرحة و نشطة, لكن دون استعجال. لأن الحكيم لا يستعجل أبدًا: لا للمقصلة ولما للزفاف! ولأي شيء جميل يستعجل, ما دامت الحياة نفسها تنساب كسهم! وبدون استعجال, جلس حسان على الكنبة, في مواجهة السرير ذي الستائر المحلاة بالدنتيللا. وبدون استعجال, أصغى لتهاني أصدقائه, وأمانيهم الطيبة. وبدون استعجال,نهض, وقال

-إنني أحييكم , يا أصدقاء صباي , و أقول: و داعًا لحياة المعز وبية.

وبدون استعجال, اتجه نحو السرير.

لكن في تلك اللحظة , و فجأة . . سقط السروال من حسان . وأحدث المنظر عاصفة من الضحك:

العجائز نبحن كما لو أن أحدًا خنقهن. وضحكات النساء الشابات رنت كما لو كانت أجراسًا. أما الرجال, فقد انكفاوا على الأرض.. والعروس, التي رأت كل شيء من خلف ستائر الدنتيللا, استولى عليها سرور جنوني, ولكي تخفيه, راحت تحرك بيأس أساورها وحليها .

لقد أغمى على الجميع من الضحك..

أما حسان فقد ظل في مكانه مشلولًا, وساقاه العاريتان حمر اوان من الخجل. وباضطراب شديد, تناول حسان سرواله, واندفع خارج البيت. وفي الفناء الواسع, قفز على أول حصان وجده, وكان يخص بالتأكيد أحد المدعويين. وهمزه بشدة, ثم ركض بأقصى سرعة, وهو يسمع ضحكًا هائلًا يتبعه

بأية سفاسف ترتبط أحيانًا سعادة إنسان! ومثل مجنون, اندفع حسان, يحث حصانه بغضب, إلى الأمام, في مغامرة مجهولة العواقب.

وفي صباح اليوم التالي, أبصر أمامه في الأفق مدينة دمشق. يقال إن خبز المنفي مر. ليس هذا حقًا. خبز المنفي ليس مرًا ولما حلوًا.

| | | / | | |
|------------------|------------------|-----------------|---------------|---------|
| منفى ليس له طعم. | لمنفيين. خبر الـ | تنتج خبزا قط لـ | ں المنفی ٹا ا | لأن أرخ |

مسكين ..وبدون درهم في كيسه, وجد حسان نفسه في شوارع مدينة غريبة. في المدينة الغريبة: كل كلب متوفز لن يلقي بنفسه عليك, كما لو كنت لصًا ... في المدينة الغريبة: كل باب ينتظر أن تقترعه لكي ينغلق في وجهك في المدينة الغريبة: كل حجر مستعد لكي يطير فوق رأسك

ليس في المدينة الغريبة سوى الأشجار . وهي وحدها التي تستقبلك بمودة , مادة لك فروعها المحملة بالزهور , وكأنها تقول لك: " اشنق نفسك " . وبرهبة , تأمل حسان المدينة الغريبة , ثم مضى إلى السوق . . وهذاك باع حصانه المجهد , واشترى بثمنه لوزًا محمصًا . وحمل الكيس على كنفيه , متوقفًا عند مشربيات المنازل لكي ينادي

-ها أنا.. جئت من بعيد. أبحث عن أسنان امر أة يمكنها أن تنافس في بياضها ما معي من اللوز.. ها ها اين هنا المأسنان المأكثر بياضًا؟

وجاءه الصوت من خلف المشربيات:

-ومن يضمن لنا ألما تنكسر أسناننا تحت لوزك ؟!

وأجاب حسان بتواضع:

- لا تخشى شيئًا يا سيدتي . . بمجرد أن يشاهد اللوز بياض أسنانك سوف ينهرس من الغيرة . وعندئذ لن يكون بك حاجة إلى تكسيره!

وما أن انتصف النهار , حتى كان كل اللوز قد تم بيعه.

قام حسان بمراجعة أرباحه, ثم اشترى " برتقالًا بدمه"

- أين إذن الشفاة الوردية التي يمكنها أن تنافس برتقالي الأحمر ؟

كتبها Administrator الثلاثاء, 25 ذو فمبر 2014 16:37 -

| ىيات: | المشر | خلف | ىدەت مەن | ه أحابه الم |
|-------|-------|-----|----------|-------------|

- هل برتقالك حقيقي كما تقول؟

- آه يا سيدتي . . إن الغيرة ستحول برتقالي إلى دموع في اللحظة التي يصبح فيها بين شفاهك.

ولم تكن الشمس قد انحر فت من وسط السماء بعد , حين تم بيع البرتقال كله.

تاجر حسان في كميات ضخمة من المفواكه والمكسرات, واشتهر في السوق, وفتح له اعتمادًا, ثم ما لبث أن ترك تجارة المفاكهة لكي يمارس تجارة المجوهرات.

وفي يوم الاثنين, عندما تقتصر زيارة السوق على النساء فقط, تبعًا للتقليد المتبع في بلاد الشرق, قام حسان, ذو اللحية المجعدة, بعرض بضاهته, مبتسمًا بوداهة:

-سيدتي الجميلة .. سيدتي الجميلة .. هل ترخبين في ألما تذرفي دموعًا بعد الآن ؟ اشتري إذن هذا الحلق .. انظري أية لآلئ ؟ إنها دموع حقيقية . الدموع تجمل المرأة . هذا هو القدر .. القسمة .. اشتري هذا الحلق , وثقي بأن الدموع لن تلمع قط في عينيك . اشتري نعمة القدر . أليس من الأفضل أن تتلاللًا الدموع في أذنيك , بدلًا من عينيك ؟

-سيدتي الجميلة .. سيدتي الجميلة .. يا ذات الجمال الساحر .. لا تشتري شيئًا .. اكتفي فقط بالمشاهدة . إن نظراتك ستحول زرقة هذه اللاآلئ التركوازية إلى زرقة السماء . قولي لحبيبك أو زوجك أن يشتري لك " بروشًا " تركوازيًا . حتى يضع فوق صدرك قطعة من السماء ..

-هذا ياقوت, أزرق وعميق مثل البحر. وهذا ياقوت أحمر مثل نقطة الدم. إنه يضيء في الظلمة. سيدتي الجميلة. اطلبي من حبيبك أو زوجك أن يقدم لك هدية من هذا البحر, أو من نقطة الدم تلك.. لكنني أنصحك أن تأخذي نقطة الدم. فإن نقطة الدم تثير من العواطف ما لا يثيره بحر بأكمله

!

| كتبها Administrator | |
|------------------------------------|--|
| المثلاثاء, 25 ذو ضمير 2014 16:37 - | |

| وهذه لآلئ | الحميدات | . سىداتى | الحميلات. | - سىداتى |
|------------|----------|------------|-----------|-----------|
| و جدد دامی | — | . سيد الحي | . —, | - سيد اسي |

- أنا أخشاها . . فإن اللـ آلـيّ تعنى الدموع!

المصغيرة وحدها يا سيدتي .. المصغيرة وحدها . اللاآلئ المصغيرة هي التي تسبب البكاء . أما الله الكي الكبيرة فإنها لم تبك امرأة قط.

وهكذا بالضحك والملاطفة كان يتاجر حسان . وأصبح غنيًا , وفي نفس الوقت , معروفًا في دمشق كلها.

وبلغت أخباره إلى السلطان نفسه. الله وحده هو السلطان. لا سلطان إلا سلطان السلاطين, وهو الله. الله أكبر.

ورغب السلطان في أن يرى محبوب الجميع , وينعم بآرائه وعقله .وفي أثناء المقابلة , قال له السلطان:

-أصعب شيء بالنسبة للسلطان هو اختيار وزرائه.

فانحنى حسان بعمق قائلًا:

- لما أحد يعرف هذا أفضل منك أيها السيد العظيم .. أما بالنسبة لي فلا أعتقد في صعوبته . فإن هذا يحدث عندنا بصورة عادية جداً . إننا نعين شخصًا , أي شخص , ونعمل منه وزيراً , ونعلن: " أيها الناس .. هذا رجل ذكي . عليكم أن تطيعوه . وإلما .. فحذار لرقابكم ! " وبدلًا من أن نجلب على أنفسنا كلام الناس , فإننا نختار الشخص الأكثر ذكاء , ونعمل منه وزيراً ..

وهز السلطان رأسه:

-عجيب أن هذه الفكرة لم ترد على ذهني أبداً. أخذ شخص ذكي, وتعيينه وزيراً. حسان.. إنك رجل ذكي. وقد عينتك وزيراً.

كتبها Administrator المثذاشاء, 25 نوفمبر 2014 16:37 -

| | الطاعة. | مني إلما | لما تتوقع | سىدى. | -أوه با |
|--|---------|----------|-----------|-------|---------|
|--|---------|----------|-----------|-------|---------|

أصبح حسان وزيرًا كبيرًا. كان طيبًا, وهادلًا, وحكيمًا. وأحبه الأخيار, أما الأشرار فخافوه. وأهجب الجميع بقوانينه التي أملاها, ولاحظ سكان دمشق كلهم بامتنان

-أي وزير لنا! إنه ليس نبيلًا ولما مشهورًا .. يكفينا أنه ذكي.

ومرت عشر سنوات.

واستدعى سلطان دمشق وزيره المفضل, وقال له:

-حسان .. بارك الله في اليوم الذي تركت فيه موطنك الأصلي , وأتيت تقيم بيننا . وبارك الله في القرآن الذي يوصينا بإكرام الغرباء . ها هي عشر سنوات قد انقضت , وأنا أتبع فيها نصائحك , وأنفذ مشيئتك لصالح دمشق ..

أما الدآن, فإنني أرغب إليك في أن تصغى جيدًا لكلامي, وتنفذ مشيئتي. اسمع يا حسان.. لم يعد أمامي وقت طويل لكي أستفيد فيه من نصائحك الطيبة. فما أقصر الطريق الذي يفصلني عن القبر, حتى أنني لا أكاد أجد الوقت الذي أنظر فيه خلفي.. وأنا أرى أن دمشقي العزيزة سعيدة بحكمك, وأريد أن أضمن لها هذه السعادة.. حتى آخر أيام عمري.

اسمع يا حسان .. ليس لي وريث . وسأعطيك ابنتي العزيزة زوجة لك وأجعل منك سلطان دمشق .. اسمع وأطع.

عندئذ قبل حسان المأرض بين يدي السلطان, وقال:

- لا تنتظر منى غير المطاعة , أيها السلطان . الله وحده هو السلطان , ولما سلطان إلما سلطان السلاطين . وهذا هو ما قاله لى:

"حسان إن مدينة دمشق رائعة . لكن وطنك هو بغداد . هناك فتيات جميلات في العالم . لكن لا يوجد أجمل من تجاعيد الأم ! والذي يفضل أن يكون سلطان بلد أجنبي على أن يظل مواطنًا بسيطًا في وطنه . . ليس أهلًا لأن يكون مواطنًا بسيطًا في بلده , ولما سلطانًا

| •• | أجنبي | لبلد |
|----|--------------|------|
| | . | • |

هذا هو ما قاله لى سلطان السلاطين, الذي ينبغي أن يسكت أمامه كل سلاطين الأرض.

وهنا تملك سلطان دمشق غضب شديد:

-هكذا أيها الخادم ترفض ان تنفذ إرادة سيدك ؟! إننى أريد أن أجعلك سعيدًا وسأجعلك سعيدًا.

وهذا هو ضعف السلاطين: يعتقدون أنهم يستطيعون أن يجعلوا الناس مشهورين, وأغنياء, وأقوياء.. وكذلك سعداء!

ولكي يجعل السلطان حسانًا سعيدًا, وضعه في السجن. لكنه هرب. جهز حصانه, وملأ كيسه بالذهب, ورحل في منتصف الليل.. إلى بغداد.

انطلق هامزًا حصانه. وحيث أنه غاب عشر سنين عن وطنه, لم يدع الحصان يلتقط أنفاسه طوال الطريق..

وحين برزت من خلف المتلال المأشعة المأولى من المشمس رأى حسان أبواب بغداله.

وبدا له أن المأشجار لا تزهر ولما تثمر في أي مكان في العالم, كما تزهر وتثمر حول بغداد.

وكذلك المآذن.. لا ترتفع في السماء بمثل تلك العظمة التي ترتفع بها في بغداد.

ونزل من فوق حصانه, وسجد مقبلًا المأرض. وفي تلك اللحظة كانت هذاك امرأة عجوز متسولة, تجلس في ظل بوابة المدينة, وهي تفلى شعر حفيدتها الصغيرة من القمل. وصاحت الفتاة

| کتبها Administrator | - |
|-------------------------------|----|
| ثلاثاء 25 نوفمبر 16:37 2014 - | 11 |

| المثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:37 - 1 |
|--|
| -انظري يا جدتي ما يفعله هذا المرجل إنه يأكل المأرض! |
| فأجابتها المعجوز: |
| -اسكتي يا حمقاء إنه لا يأكلها, بل يقبلها. ثم إن هذا ليس من شأنك. ربما كان هذا الرجل يحب وطنه, وربما يكون أيضاً مخموراً ومن الأفضل ألما يكون هذا أو ذاك. لكنك يجب أن تعرفي الآن فقد أصبحت كبيرة |
| وتساءلت الصغيرة في بلاهة: - وكم عمري الآن يا جدتي ؟ - عمرك إنك في الحادية عشرة . فقد ولدت في السنة التي سقط فيها السروال من حسان في ليلة عرسه! |
| هنا شعر حسان أن وطنه يبصق في وجهه. وخاطب نفسه: |
| -الله أكبر. آه .الله أكبر, وكريم, ورحيم. إنهم يؤرخون باليوم الذي سقط فيه سروالي. وها هي طفلة صغيرة, تجهل عمرها, تعرف أنه منذ عشر سنواتسقط من حسان سرواله! |
| لقد عشت وجودين. وأصلحت حياتي من بائس مسكين إلى إنسان غني. ووصلت إلى قمة السلطة, وحكمت بلدًا, وأمليت قوانين حكيمًة وجعلت دولة بأكملها سعيدة. وكان من الممكن أن أكون سلطانًا وأول امرأة فقيرة أقابلها, تبحث عن قمل في شعر حفيدتها الصغيرة, لا تستطيع أن تنسى أنه منذ عشر سنوات قد سقط سروالي |
| قفز حسان إلى سرج الجواد, وحول وجهه, واندفع في المغامرة |
| هذا هو ما يعلمه <i>م</i> ن المناس. |
| لكن الله وحده يعلم ما في أعما <u>قه</u> م. |
| |

كيف سقط السروال من حسان

كتبها Administrator المثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:37 -